# معرفة الباطن الإنساني، الثقافة الإنسانية الجامعة

■ بول أبي درغام

الثقافة غذاء للفكر والنفس معًا، توسّع أفق التفكير وتمد أواصر الترابط بين حاضر الإنسان من جهة، وبين تاريخه وإنجازاته وعاداته ومعتقداته... من جهة أخرى.

سعة اطلاع المرء، تعدد الحقول الثقافية وتنوع مصادرها، تُسقط الحواجز بين الحاضر والماضي وتجعل المرء يتخطى الأفكار المتوارثة والأحكام المسبقة على الآخر، مهما كان انتماؤه العرقي أو العقائدي... فالثقافة نظرة شاملة من عُلي تُظهر خيوط الترابط بين الحضارات والشعوب على امتداد الزمن. إنّها أشبه بتشكيل تدريجي لفسيفساء الوجود البشري على الأرض، تزداد وضوحًا ودقّة كلّما كان الباحث موضوعيًا ومتجرّدًا في بحثه...

لكل امرئ اهتماماته وميوله الذين يدفعانه إلى الاطلاع على مناح معينة من الحياة والتوسع فيها. فللثقافة أوجه عديدة تبدأ من حبّ الاطلاع على تاريخ وجود الإنسان على الأرض ومحطات تطوره عليها، والاطلاع على إنجازاته المفصلية في تطوير سبل العيش، الطقوس والعادات المختلفة للشعوب، مرورًا بالفنون والعلوم، بالهندسة والبناء، وصولًا إلى علوم الفلك والطبيعة وغيرها من المجالات التي تخصّ الإنسان ومحيطه...

لكل هذه الأوجه وغيرها أهمية بالغة في فهم ماضي الإنسان وواقع حاله... لكنّها تبقى منتقصة إن لم تتوّجها وتربط فيما بينها ثقافة الباطن الإنساني، أي معرفة الإنسان للعالم اللامادي الذبذبي التكوين، أساس وجود عالم المادة وتشعباته المختلفة...

علوم الإيزوتيريك، علوم الباطن الإنساني، ألقت الضوء على الجانب اللامادّي في الإنسان، والذي هو أساس وجود المادّة، فعرّفت الذبذبة «بروح الذرّة ومحرّكة جزيئاتها» كما ورد في كتاب «تعرّف إلى وعيك» للدكتور جوزيف مجدلاني (ج ب م) مؤسس مركز علوم الإيزوتيريك الأوّل في لبنان والعالم العربي. وكشفت أيضا التكوين الإنساني اللامادّي وتراتبية أبعاده، وشرحت تأثير الإنسان وتأثره بمحيطه الطبيعي والإنساني، وحدّدت الطاقات الجبارة التي يتمتع بها كلّ إنسان، والتي لا تزال غافلة فيه...

معرفة الباطن هذه تبدأ من معرفة الإنسان لنفسه ولتكوينه اللامادّي، إلى جانب فهم جسده ومتطلبات الصحة السليمة... فالكيان السليم نتيجة التوازن النفسي، والتوازن النفسي ينبع من فهم متقدّم للحياة وهدفها، وهذا الفهم ترسّخه مبادئ المعرفة الباطنية وقوانين الحياة التي يخضع لها الإنسان من دون إدراك منطقها وعدلها...

بين الثقافة والمعرفة فارق يتمثّل بالقابلية للاختبار والتطبيق... فالثقافة معلومات، في حين أنّ المعرفة قابلة للتطبيق العملي في الحياة، وبالتالي التحوّل إلى وعي مكتسب.

إنّ غياب الثقافة الباطنية يشكّل حلقة مفقودة في فهم تسلسل أحداث الحياة وغايتها ومنطقها... فيعتقد الإنسان أنّه عرضة لمشيئة الحظ، وخاضع لسلطة عليا تتحكم في مصيره وتوجّه إبحاره في محيط الحياة، ولا تترك له سوى النذر اليسير من التحكم والاختيار... لكن علوم الباطن الإنساني، علوم الإيزوتيريك، تعطي للإنسان دور محوري في صناعة أحداث حياته انطلاقا من حرية الاختيار المطلقة التي منحها الخالق للإنسان. تشرح علوم الباطن بطريقة مفصّلة قانون السبب والنتيجة، فيتوضح أنّ الحاضر نتيجة مباشرة للماضي، وأنّ المستقبل يصنعه كلّ امرئ في حاضر حياته...

استفاضت علوم الإيزوتيريك في شرح النواحي الباطنية لمفاهيم حياتية مختلفة، ففسّرت الأرقام وأسرارها، الألوان وتأثيرها، التأمل وأهدافه، الأحلام وحقيقتها، الحبّ وأبعاده، الوعي وأعماقه، الزمن ومجاهله، الحقيقة وواقعها... ومواضيع أخرى كثيرة، محورها معرفة الإنسان لنفسه وللحياة.

تخطت مؤلفات علوم الإيزوتيريك المئة مؤلّف بقلم مؤسّسها في لبنان والعالم العربي الدكتور جوزف مجدلاني (ج ب م)، مؤلّفات قدّمت منهجًا متكاملًا لمعرفة تطبيقية حياتية غير نظرية في تقنية «إعرف نفسك».

إنّ البحث في سيرة كبار رجالات العلم والفلسفة والفنّ يكشف وقائع لا لبس فيها، وهي أنّهم جميعًا أصحاب ثقافة باطنية أو معرفة باطنية متعمّقة. فسقراط وفيثاغوراس درّسوا مبادئ المعرفة الباطنية لطلابهم... وكشفت الأوراق والمخطوطات الخاصة بنيوتن وأينشتاين أنّهم بحثوا في المعرفة الباطنية وأبعادها... كما حوت أعمال فنّانين كبار رموز المعرفة الباطنية بشكل مبطن.

تدعو علوم الإيزوتيريك كلّ إنسان إلى الإطلاع على معرفتها، وتدعو كلّ مثقف لم يطّلع على «ثقافة الباطن» إلى إعطائها الأولوية، لأنّ الثقافة الباطنية – الإنسانية – الحياتية تكشف غوامض الحياة وتشكّل الإطار الجامع لكلّ ثقافة بشرية ومعرفة إنسانية، مهما اختلفت معاييرها.

فالثقافة الباطنية هي بمثابة مفاتيح للرموز المختلفة. إنّها اللّغة الجامعة و«القاموس الموحد» لمختلف سجلّات الوجود البشري على الأرض، من آدم وحواء والحقيقة خلف رمزية قصتهما، إلى نوح وحقيقة الطوفان وأسبابه، وصولًا إلى فهم عصر التكنولوجيا المادية الحالي، وعصر «تكنولوجيا الباطن الإنساني» المستقبلي كما تعرّفه علوم الإيزوتيريك...

نعم، إنّ العصر المقبل هو عصر تفتّح الإنسان على طاقاته الغافلة لتساعده على تطوير وعيه، كما كشفت علوم الإيزوتيريك في مناسبات عديدة... كلّ ثقافة مهما اختلف حقلها، إن لم تساهم في إيصال الإنسان إلى هدفه، فهي تبقى تراكم معلومات في ذاكرة صاحبها بدل أن تترسخ وعيًا في «ذاكرة أعماره»... الثقافة الباطنية أولوية لكلّ إنسان يبحث ويوسّع اطلاعه مهما كان حقل بحثه. لكن عندما يتّخذ الإنسان نفسه كحقل للبحث، ويصمّم على فهم أسباب أحداث حياته، ويعقد العزم على صقل شخصيته وتطوير مقدراته، عندها تصبح المعرفة الباطنية ممر إلزامي ودرب تنقية ذاتية يمهّد الطريق نحو مسارات النجاح المختلفة في مناح الحياة كافة.

ففي عرف المعرفة الباطنية، من يفهم نفسه يفهم الحياة، ومن يطوّر نفسه تتطوّر الحياة من حوله... ألم يقل شيخ الفلاسفة سقراط «إعرف نفسك تعرف الحياة والكون»؟ فعلوم الإيزوتيريك هي منهج معرفة النفس، الثقافة الإنسانية الجامعة...

www.esoteric-lebanon.org